# الدراسات ٢٤

ذي القعدة ١٤٣١هـ
تشرين أول ٢٠١٠م

نشرة شهرية تعنى بمباحث العلوم الشرعية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
في العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم


الإشراف العام
الشيخ علي الفتلاوي

إعداد
السيد نبيل الحسني
الشيخ وسام البلداوي

التدقيق اللغوي
خالد جواد جاسم

التنضيد الإلكتروني
محمد رزاق صالح
كرار عبدالأمير السلامي

التصميم والإخراج الفني
احمد محسن المؤذن
السيد علي ماميثة

تنفيذ
مطبعة دار الضياء


## محتويات العدد


قطوف دانية من السيرة الحسينية ٢

في رحاب علوم القرآن ٤
الحكم في وجود المتشابه في القرآن الكريم (الجزء الثاني)

على ضفاف نهج البلاغة ٦
طبيعة الحكم عند علي عليه السلام
وعلاقة الحاكم بالشعب (القسم الثاني)

مدارات فكرية في مدرسة العترة النبوية ٨
آداب المعاشرة والمخالطة مع الناس في كلام
أهل البيت عليهم السلام

أخلاقك هويتك ١٠
تحقيق الوسط والأطراف

مباحث عقائدية ١٢
ما هي المعجزة وكيف يستدل بها على صدق الأنبياء
والرسل عليهم السلام

أعلام الشيعة ١٤
الشيخ مرتضى الأنصاري نخبة الأوائل والأواخر

معاجز أهل ابيت عليهم السلام وكراماتهم ١٦
طاعة ملك الموت للإمام الصادق عليه السلام

من كان همه الأخرة كفاه الله هم الدنيا والأخرة ١٧
من كرامات الشهيد الأول

شؤون الأسرة ١٨
الخوف عند الأطفال

معارف عامة ٢٠
الفيروس



إصدار
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
في العتبة الحسينية المقدسة
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
- وزارة الثقافة لسنة ٢٠١٠ : ١٢١١



هاتف: ٣٢٦٤٩٩
بدالة: ٣٢١٧٧٦-داخلي: ٢٤٢
موقع العتبة www.imamhussain.org
موقع القسم www.imamhussain-lib.org
بريد القسم Email:info@imamhussain-lib.org

# كلمة العدد
# قواعد معصومية

عندما يتأمل العاقل في كلام أهل بيت العصمة عليهم السلام يكتشف كثيراً من القواعد الحياتية التي تأخذه بيده الى الاستقامة والنجاة من العثرات، والتي ترفد عقله بالنهج القويم والتفكير السليم.

فلأهل البيت عليهم السلام قول في كل فن ونصيحة عند كل شبهة، وارشاد لكل خطوة، وانارة في كل ظلمة.

ولكي نسلط الضوء على بعض هذه القواعد الاخلاقية التي لو اتخذها المؤمن منهاجاً لفاز في الدنيا والآخرة. ولو اتخذها الكافر نصيحة لسار سيراً صحيحاً وقطف ثماراً ناضجة في حياته، وسنذكر لكم ثلاث قواعد باختصار شديد يتلاءم مع المساحة المتاحة لنا:

القاعدة الأولى: ورد عن الإمام أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الرفق لم يوضع على شيء إلا زانه ولا نزع عن شيء إلا شانه) فهذه القاعدة نبراس يستضاء به عند التعامل مع الناس، فمن أراد أن ينال مبتغاه فعليه بالرفق واللين دون الذلة والتملق فإنه سيكسب القلوب ويلوي الاعناق وينال ما يريد.

القاعدة الثانية: ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (قف عند كل أمر حتى تعرف مدخله من مخرجه، قبل ان تقع فيه فتندم)[1] وهذه القاعدة هي الأخرى ترشد إلى ضرورة التأني وعدم العجلة عند القدوم على فعل معين، لكي لا تكون العواقب وخيمة والإقدام على هذا الفعل غير مدروس، وتشير هذه القاعدة إلى معرفة الحكم الشرعي إزاء هذا الأمر الذي راج الدخول فيه.

القاعدة الثالثة: ورد عن الإمام الرضا عليه السلام: (من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عز وجل)[2] هذه القاعدة الاخلاقية تدلنا على ضرورة شكر المنعم سواء أكان المنعم الخالق أم المخلوق، لما في ذلك من عرفان بالجميل وحث على زيادة المنعم فهذه القاعدة هي صدى لقوله تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم) فلابد للعاقل الذي يريد أن تستمر نعمه وتزداد أن يكون دائم الشكر للمنعم، ثم ان هذه القاعدة تقول اذا انت انكرت نعم المخلوق عليك فأنت لنعم الخالق أشد انكارا، وتقول أيضاً ان انكارك وعدم شكرك للمخلوق فهو عدم شكر للخالق، لأن الخالق هو الذي سخر لك هذا المخلوق الذي أنعم عليك، فلذا ينبغي التعامل مع هذه القاعدة بدقة وجدية.

هذا ملخص هذه القواعد وسنوافيكم إذا سمح لنا المجال في بيان غيرها ان شاء الله تعالى.

---

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج٤، ص٣٢٧٠.

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري: ج٢، ص١٤٩٣.

المشرف العام

## خطبة علي والحسنين عليهم السلام

قال الصدوق: حدثنا أحمد بن الحسن القطان وعلي بن أحمد بن موسى الدقاق ومحمد بن أحمد النسائي قالوا: حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى بن زكريا القطان، قال: حدثنا محمد بن العباس، قال: حدثني أبي محمد بن أبي السري، قال: حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس، عن سعد بن طريف الكناني، عن الأصبغ بن نباتة، قال لما جلس علي عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس خرج إلى المسجد متعمماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابساً بردة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متنعلاً نعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متقلداً سيف رسول الله، فصعد المنبر فجلس عليه متحنكاً، ثم شبك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه ثم قال: «يا معشر الناس سلوني قبل ان تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقني رسول الله زقاً زقاً، سلوني فإن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي وسادة فجلست عليها لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم حتى تنطق التوراة فتقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في، وأفتيت أهل الإنجيل بإنجيلهم حتى ينطق الإنجيل فيقول: صدق علي ما كذب لقد أفتاكم بما أنزل الله في وأفتيت أهل القرآن بقرآنهم حتى ينطق القرآن فيقول: صدق علي ما كذب... ثم أمر الحسن عليه السلام بأن يخطب، فخطب ثم امر الحسين عليه السلام وقال: «يا بني قم فاصعد فتكلم بكلام لا يجهلك قريش من بعدي، فيقولون: إن الحسين بن علي لا يبصر شيئاً وليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك».

فصعد الحسين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه، وصلى علي نبيه وآله صلاة موجزة، ثم قال: «معاشر الناس سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: ان علياً مدينة هدى، فمن دخلها نجا ومن تخلف عنها هلك»، فوثب إليه علي عليه السلام فضمه إلى صدره وقبله ثم قال: «معاشر الناس اشهدوا انهما فرخا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو سائلكم عنهما»[1].

## استسقاء الإمام الحسين عليه السلام

وروى المجلسي عن عيون المعجزات للمرتضى رحمه الله: جعفر بن محمد بن عمارة، عن أبيه، عن الصادق عليه السلام، عن أبيه، عن جده عليهما السلام قال: «جاء أهل الكوفة إلى علي عليه السلام فشكوا إليه إمساك المطر، وقالوا له: استسق لنا، فقال للحسين عليه السلام: قم واستسق فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي، وقال: اللهم معطي الخيرات، ومنزل البركات، أرسل السماء علينا مدراراً، واسقنا غيثاً مغزاراً، واسعاً، غدقاً، مجللاً سحاً[2]، سفوحاً[3]، فجاجاً[4] تنفس به الضعف من عبادك، وتحيي به الميت من بلادك، آمين رب العالمين.

فما فرغ عليه السلام من دعائه حتى غاث الله تعالى غيثاً بغتة، وأقبل أعرابي من بعض نواحي الكوفة فقال: تركت الأودية والآكام يموج بعضها في بعض»[5].

وروى الحميري عن أبي البختري وهب بن وهب القرشي، عن الصادق، عن أبيه، عن جده عليهم السلام قال: «اجتمع عند علي بن أبي طالب عليه السلام قوم فشكوا إليه قلة المطر، وقالوا: يا أبا الحسن ادع لنا بدعوات في الاستسقاء، قال: فدعا علي عليه السلام الحسن والحسين فقال للحسن عليه السلام: ادع لن بدعوات في الاستسقاء.

فقال الحسن عليه السلام: اللهم هيج لنا السحاب، تفتح الأبواب بماء عباب، ورباب بانصباب وإسكاب، يا وهاب اسقنا مغدقة مونقة، فتح أغلاقها، ويسر أطباقها، وعجل سياقها بالأندية في بطون الأودية بصوب الماء، يا فعال اسقنا مطراً قطراً، طلاً مطلاً، مطبقاً طبقاً، عاماً معماً، دهماً بهماً رجماً، رشاً مرشاً، واسعاً كافياً عاجلاً طيباً مباركاً، سلاطحاً بلاطحاً، يناطح الأباطح، مغدودقاً مطبوبقاً مغرورقاً واسق سهلنا وجبلنا، وبدونا وحضرنا حتى ترخص به أسعارنا، و تبارك لنا في صاعنا ومدنا، أرنا الرزق موجوداً والغلاء مفقوداً آمين رب العالمين.

ثم قال للحسين عليه السلام: ادع.

فقال الحسين عليه السلام: اللهم يا معطي الخيرات من مناهلها، ومنزل الرحمات من معادنها، ومجري البركات على أهلها، منك الغيث المغيث، وأنت الغياث المستغاث، ونحن الخاطئون و أهل الذنوب، وأنت المستغفر الغفار، لا إله إلا أنت، اللهم أرسل السماء علينا لحينها مدراراً، واسقنا الغيث واكفاً[6] مغزاراً[7]، غيثاً مغيثاً، واسعاً متسعاً مريئاً[8] ممرعاً،

غدقاً مغدقاً غيلاناً[٩]، سحاً[١٠] سحساحاً، بحاً[١١]، بحاحاً سائلاً مسلاً عاماً ودقاً مطفاحاً[١٢] يدفع الودق[١٣] بالودق دفاعاً، ويتلو القطر منه قطراً، غير خلب[١٤] برقه، ولا مكذب رعده تنعش[١٥] به الضعيف من عبادك، وتحيي به الميت من بلادك، وتستحق به علينا من مننك، آمين رب العالمين.

فما فرغا من دعائهما حتى صب الله تبارك وتعالى عليهم السماء صباً، قال: فقيل لسلمان: يا أبا عبد الله أعلما هذا الدعاء؟

فقال: ويحكم أين أنتم عن حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث يقول: إن الله أجرى على ألسن أهل بيتي مصابيح الحكمة».

## خطبة الإمام الحسين عليه السلام في حرب صفين

وأما في حرب صفين، فلما خطب أمير المؤمنين بالكوفة وحرض الناس على حرب معاوية واتباعه، أمر الحسن عليه السلام بأن يخطب الناس، فخطب، ثم أمر الحسين عليه السلام، فقام عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله وقال:

«يا أهل الكوفة أنتم الاحبة الكرماء، والشعار دون الدثار، فجدوا في إحياء ما دثر بينكم، وتسهيل ما توعر[١٦] عليكم.

ألا إن الحرب شرها ذريع[١٧]، وطعمها فظيع، وهي جرع مستحساة، فمن أخذ لها أهبتها واستعد لها عدتها ولم يألم كلومها عند حلولها فذاك صاحبها، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها فذاك قمن[١٨] أن لا ينفع قومه وان يهلك نفسه، نسأل الله بقوته ان يدعمكم بالفئة» ثم نزل[١٩].

## وصية الإمام علي لولده الإمام الحسين عليهما السلام

روي عن مولانا وسيدنا موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر الصادق، عن أبيه، عن جده عن أبيه الحسين بن علي أمير المؤمنين صلوات الله عليهم اجمعين، قال:

قال أبي أمير المؤمنين عليه السلام: يا بني ألا اعلمك سرا من أسرار الله عز وجل علمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان من أسراره لم يطلع عليه أحد؟

قلت: بلى يا أباه جعلت فداك.

قال: نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الروح الأمين جبرئيل عليه السلام في يوم الأحد يوم احد، وكان يوم مهول شديد الحر، وكان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم جوشن لا يقدر حمله لشدة الحر، وحرارة الجوشن.

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: فرفعت رأسي نحو السماء، فدعوت الله تعالى فرأيت أبواب السماء قد فتحت، ونزل علي الطواف بالنور جبرئيل، فقال: العلي الأعلى يقرئك السلام، يخصك بالتحية والاكرام، ويقول لك اخلع هذا الجوشن واقرأ هذا الدعاء، فإذا قرأته وحملته فهو مثل الجوشن الذي على جسدك[٢٠].

ثم ذكر خيراً طويلاً في فضل دعاء الجوشن المشهور وذكر الدعاء .. إلى ان قال: وقال الحسين عليه السلام: أوصاني أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وصية عظيمة بهذا الدعاء وحفظه، وقال لي: يا بني اكتب هذا الدعاء على كفني، وقال الحسين عليه السلام: «فعلت كما أمرني أبي»[٢١].

وفي رواية قال الحسين عليه السلام: «أوصاني أبي عليه السلام بحفظه وتعظيمه، وأن أكتبه على كفنه، و أن اعلمه أهلي و أحثهم عليه وهو ألف اسم واسم»[٢٢] [٢٣].

---

١. أمالي الصدوق، ٢٨٠، ينابيع المودة، ٨٢.
٢. سحاً: أي صباً غير منقطع.
٣. سفح سفوحاً: أي انصب صباً.
٤. فجاج: الذي يشق الارض.
٥. بحار الأنوار: ٤٤: ١٨٧ حديث ١٦، العوالم: ١٧: ٥١ حديث١.
٦. واكف: أي متقاطر.
٧. مغزار: أي كثير الدر والصب.
٨. مريا: أي كثير الماء.
٩. غيلاناً: أي الذي يجري على وجه الأرض.
١٠. سحاً: أي الذي يجري فوق.
١١. بحاً: أي ذا صوت شديد.
١٢. مطفاحاً: أي مائلاً للعذران والعيون.
١٣. الودق: أي المطر.
١٤. خلب: البرق الخلب الذي لا مطر فيه.
١٥. تنعش: يرد من الهلكة واحياه وأخصبه.
١٦. توعر: أي تعسر وصعب.
١٧. الذريع أي الفظيع او السريع.
١٨. قمن: أي جدير.
١٩. بحار الأنوار: ٣٢: ٤٠٥ حديث٣٦٩.
٢٠. مهج الدعوات: ٢٢٧، بحار الأنوار ٩٤: ٣٩٧.
٢٢. بحار الأنوار، ج٩٤: ٤٠٢، و٨١: ٣٣٢.
٢٣. بحار الأنوار ٩٤: ٣٨٤ و٨١: ٣٣١ مع حذف جملة وهو الف اسم واسم، مستدرك الوسائل ٢: ٢٣٢.
٢٤. موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: معهد تحقيقات باقر العلوم، ص ١٢٥ . ١٣٣ . ١٤١ . ١٤٨.

# الحكمة في وجود المتشابه في القـــــرآن الكـــــريم

الرابع: ما ذكره العلامة الطباطبائي: إن التربية الإسلامية سارت على منهج معين يقوم على أساس فرض الواقع للإنسان وعلاقته بالله سبحانه خالق الكون ومدبر أموره وبالمعاد والجزاء.

وهذا المنهج يتلخص في أن عامة الناس لا تكاد تتجاوز أفهامهم وعقولهم المحسوسات المادية إلى عالم ما وراء الطبيعة. ولا يمكن أن يعطي إنسان ما معنى من المعاني إلا عن طريق تصوراته ومعلوماته الذهنية التي حصلت له خلال حياته المادية والعقلية. والناس في هذه التصورات والمعلومات على مراتب ودرجات تختلف باختلاف الممارسة المادية والعقلية.

والهداية القرآنية ليست مختصة بجماعة دون أخرى، وإنما هي هبة الله سبحانه للناس كافة.

وهذا الاختلاف في الفهم وعموم الهداية القرآنية: يفرضان أن يسوق القرآن الكريم بياناته مساق الأمثال بأن يستثمر ما يعرفه الإنسان ويعهده في ذهنه من المعاني والصور ليبين ما لا يعرفه من هذه المعاني والصور.

وقد يكون ذلك في القرآن الكريم مع عدم وجود والتوافق الكلي بين المعنى الذي يعرفه الإنسان مسبقاً والمعنى الجديد الذي يحاول القرآن الكريم تعريف الإنسان عليه. وإنما يلحظ القرآن جانباً معيناً من الانسجام والتوافق. كما نفعل ذلك في حياتنا العملية حين نستثمر الأوزان والمكاييل للتعريف بالمواد الغذائية وغيرها مع عدم وجود التوافق بينها وبين المواد الغذائية في شكل أو صورة أو حجم.

وحين نستعمل الصورة المادية المحسوسة . التي عرفها الإنسان في حياته . كأمثال للمعارف الإلهية المجردة يقع الفهم الإنساني في إدراكه لهذه المعارف الممثلة بين أمرين قد يستلزم كل منهما محذوراً:

الأول . الجمود بهذه المعارف في مرتبة الحس المادي وحينئذ تنقلب عن واقعها المجرد الذي استهدفته الهداية القرآنية.

الثاني . الانعتاق من الإطار المادي للمثال والقيام بعملية تجريد للخصوصيات غير الداخلة في التمثيل. وهذا يستلزم . أحياناً الزيادة والنقيصة في هذه العملية أو الشدة والضعف.

ولذا نجد القرآن يلجأ إلى عملية واسعة في التمثيل تفادياً لهذه المشاكل العقلية والنفسية. وذلك بتوزيع المعاني التي يريد من الإنسان إدراكها وتربيته على تصورها إلى أمثال مختلفة وجعلها في قوالب متنوعة حتى يفسر بعضها بعضاً ويوضح بعضها أمر بعض لينتهي الأمر إلى تصفية عامة تؤدي إلى النتيجتين التاليتين:

الأولى . إن البيانات القرآنية ليست إلا أمثالاً لها في ما وراءها حقائق ممثلة وليس الهدف والمقصود منها مرتبطاً باللفظ المأخوذ من الحس والمحسوسات فنتخلص بذلك من محذور الجمود.

الثانية . بعد الالتفات إلى أن البيانات القرآنية أمثال نعلم حدود المعنى الإلهي المقصود من وراء هذه البيانات حين نجمع بين هذه الأمثال المتعددة وننفي بكل واحد منها خصوصية من الخصوصيات المأخوذة من عالم الحس الموجود في المثال الآخر. فنطرح ما يجب طرحه من الخصوصيات المحيطة بالكلام ونحتفظ بما يجب الاحتفاظ به منها.

ولا شك أن هذا الوجه من أروع ما قيل في تفسير ظاهرة وجود المتشابه، ويمكن أن يعد تعليلاً وجيهاً لورود الكثير من الآيات المتشابهة، ولكننا لا نقبله تعليلاً شاملاً لكل ما ورد في القرآن من

المتشابهات، حيث نرى أن بعضها لا يمكن تحديد مصداقه بشكل قاطع بناء على مذهبنا في حقيقة المتشابه الذي عرفنا فيه أن المفهوم اللغوي له مفهوم صحيح، وليس باطلاً لينتفي الريب بواسطة الأمثلة الأخرى القرآنية.

وفي نهاية المطاف يجدر بنا أن نذكر خلاصة الوجه الصحيح في حكمة ورود المتشابه في القرآن. وبهذا الصدد يحسن بنا أن نقسم المتشابه إلى قسمين رئيسيين.

الأول: المتشابه الذي لا يعلم تأويله ومصداقه إلا الله.

الثاني: المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ولو كان ذلك بتعليم الله تعالى لهم.

أما ورود القسم الأول في القرآن فلأن من الأهداف الرئيسية التي جاء من أجلها القرآن الكريم هو ربط الإنسان الذي يعيش الحياة الدنيا بالمبدأ الأعلى وهو الله سبحانه وبالمعاد وهو الدار الآخرة وعوالمها. وهذا الربط لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق إثارة المواضيع التي تتعلق بعالم الغيب وما يتصل به من أفكار ومفاهيم لينمي غريزة الإيمان التي فطر الإنسان عليها ويشده إلى عالمه الذي سوف ينتهي إليه. فلم يكن هناك سبيل أمام القرآن الكريم يتفادى به المتشابه في القرآن بعد أن كان هو السبيل الوحيد الذي وصل إلى هذا الهدف الرئيسي.

وأما ورود القسم الثاني في القرآن الكريم بهذا الإسلوب فإنه أراد أن يطرح أمام العقل البشري قضايا جديدة كبعض المسائل الكونية أو الإنسانية وغيرها من المفاهيم الغيبية لينطلق في تدبر حقيقتها واكتشاف ظلماتها المجهولة أو يتقرب منها بالقدر الذي تسمح له معرفته ودرجته في تلك المعرفة كما ذكر العلامة الطباطبائي.

ونحن في هذا العصر حين نعيش التطور المدني العظيم في المجالات العلمية المختلفة. ندرك قيمة بعض الآيات القرآنية التي ألمحت إلى بعض الحقائق العلمية ووضعتها تحت تصرف الإنسان لينطلق منها في بحثه وتحقيقه، وكذلك بعض المصاديق الإنسانية.

وبهذا يمكن أن نقدم تفسيراً لحكمة ورود المتشابه في القرآن الكريم[1].

---

١. علوم القرآن: محمد باقر الحكيم، ص٢٠٤ ـ ٢١٢.

ذكرنا في العدد السابق ان طبيعة الحكم الذي مارسه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ودعا عماله وولاته إلى ممارسته هو الحكم من اجل الشعب، ومن اجل الرعية وحدها، وقد بينا في العدد السابق جملة من تلك الحقوق التي يراها الإمام أمير المؤمنين ضرورية ويجب توفرها في العلاقة التي تربط الحاكم برعيته، والرعية بحاكمها.

وللحديث عن حقوق الرعية محل لم يغفل الإمام الحديث عن هذه الحقوق بل عرض لها بالذكر في مواطن كثيرة فما هي حقوق الرعية على الوالي؟.

لقد تحدث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مرة عن هذه الحقوق فقال: (ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح بر ويستراح من فاجر).

وقال عليه السلام: (فأما حقكم عليَ فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كيلا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا).

وقال عليه السلام: (أنه ليس على الإمام إلا ما حمل من أمر ربه إلا بلاغ في الموعظة، والاجتهاد في النصيحة، والإحياء للسنة، وإقامة الحدود على مستحقيها، وإصدار السُّهمان على أهلها).

وفي هذه النصوص أجمل الإمام حقوق الرعية على الراعي في توفير الأمن في الداخل والخارج، وتأمين الحياة الاقتصادية، والتعليم والتوجيه الاجتماعي، وإقامة العدل. ولا يضرنا إجمال هذه النصوص بعد أن عرفنا أن أطول وثيقة كتبها عليه السلام وأجمعها لحقوق الرعية هي عهده إلى الأشتر، ففي صدر هذا العهد أجمل هذه الحقوق إجمالاً ثم فصلها بعد ذلك تفصيلاً أجملها فقال: (هذا ما أمر به عبد الله علي أمير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر في عهده إليه حين ولاه مصر: جباية خراجها، وجهاد عدوها، واستصلاح أهلها، وعمارة بلادها).

ثم فصلها بعد ذلك فأفاض أولاً في بيان وظيفة العسكريين وواجباتهم والسبيل الذي يحسن بالحاكم أن يتبعه للاستفادة منهم. ثم فصل الكلام في جهاز الحكم: الولاة والوزراء والقضاة، فوضع أسس الحكم العادل التقدمي الواعي. وتكلم بعد ذلك عن الزراع والتجار والصناع والفقراء، فبين حقوقهم على الحاكم من توفير المجالات لهم، وإعداد أحسن الفرص لنجاحهم في أعمالهم. ثم تحدث عن حالة البلاد العمرانية فأفاض في الحديث وبين خطورة هذه الناحية في أمن الرعية ورفاهيتها وإطراد تقدمها.

في هذا العهد نظر الإمام عليه السلام إلى المجتمع كله بما فيه من طوائف وطبقات، وبين فيه حقوق هذا المجتمع كلها، ولا نرى ما يدعونا إلى تفصيل الكلام في ذلك هنا بعد أن تبين من خلال حديثنا عن الطبقات الاجتماعية، لأنه حينما تحدث عن الطبقات لم يتناولها على نحو تجريدي، وإنما تناولها بالحديث باعتبار ما لها من حقوق، وقد قدمنا ملاحظة بين يدي ذلك الحديث قلنا فيها: (.... لم يفرغ آراءه الإجتماعية كلها في قالب علمي، مجرد، وإنما قدم بعضها مفرغاً في التجربة العملية التي قام بها، ولا يسلبها قيمتها، كحقيقة موضوعية، أنها مفرغة في قالب تجريبي إجتماعي يسبغ عليها بدل جمود الحقيقة العلمية المجردة، حيوية وحركية تنشآن من حيوية الجماعات وحركيتها).

## طبيعة الحق، وحقوق الحاكم على الرعية

تحدث الإمام عليه السلام عن طبيعة الحق فلاحظ أنه لا يمكن أن يكون لأحد حق على غيره إلا ويكون عليه لغيره واجب، وهناك تقابل دائم بين الحق والواجب فحيثما يكون الحق يتبعه الواجب. ولكن الناس - غالباً - يريدون استيفاء حقوقهم دون أن يؤدوا ما عليهم من واجبات غير عالمين أنه حينما يتمرد الإنسان على واجبه فلا يأتي به يسقط حقه الذي يدعيه.

وفي هذا الصدد يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (... فالحق أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف، لا يجري لأحد إلا جرى عليه ولا يجري عليه إلا جرى له، ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجري عليه لكان ذلك خالصاً لله سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده، ولعدله في كل ما جرت عليه صروف قضائه، ولكنه جعل حقه على العباد أن يطيعوه، وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب تفضلاً منه وتوسعاً بما هو من المزيد أهله).

وقال عليه السلام: (... ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقاً لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافأ في وجوهها ويوجب افتراضها بعضها بعضاً، ولا يستوجب بعضها إلا

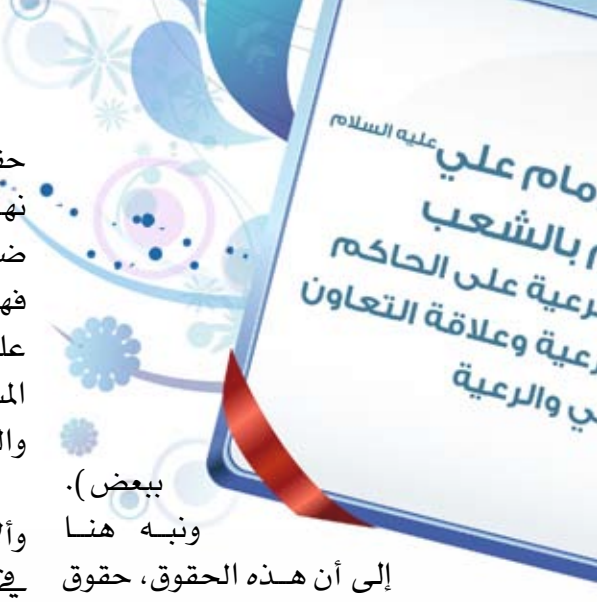


ببعض).

ونبه هنا إلى أن هذه الحقوق، حقوق الإمام، ليست امتيازات على سائر الناس يحصل عليها الإمام بسبب الحكم، وذلك لأن الحكم، عند الإمام، لا يسبب للحاكم أي امتياز شخصي أبداً.

وها هو يخاطب الأشتر، عامله على مصر، بقوله: (إياك والاستئثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون، فإنه مأخوذ منك لغيرك، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، وينتصف منك للمظلوم).

وقال عليه السلام مخاطباً أصحابه في صفين: (.. وإن من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظن بهم حب الفخر، ويوضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أني أحب الإطراء واستماع الثناء، ولست - بحمد الله - كذلك ولو كنت أحب أن يقال ذلك، لتركته انحطاطاً لله سبحانه عن تناول ما هو أحق به من العظمة والكبرياء وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا عليّ بجميل بلاء لإخراجي نفسي إلى الله وإليكم من التقية في حقوق لم أفرغ بعد من أدائها، وفرائض لا بد من إمضائها، فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة).

إذا لم تكن حقوق الحاكم من هذا الباب فما هي طبيعتها إذن؟

حقوق الحاكم كما يجملها الإمام في نهج البلاغة هي أمور يعطاها لأنها ضرورية لاستمرار الحكم وصلاحه فهذه الحقوق هي: «... وأما حقي عليكم: فالوفاء بالبيعة، والنصيحة في المشهد والمغيب، والإجابة حين أدعوكم، والطاعة حين آمركم).

وهي: (... ولي عليكم حق الطاعة وألا تكعصوا عن دعوة، ولا تفرطوا في صلاح، وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق).

وهي: (.. فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل).

وتكاد ترجع كل هذه الحقوق إلى الوفاء بالبيعة، فإن الإمام يبايع على السمع والطاعة. وإذا لم يسمع المحكومون حين يدعوهم لم يطيعوا حين يأمرهم، ولم ينصحوا له ولم يثبتوا على ولائه لم يستطع الإمام أن يسير أداة الحكم على نحو صالح.

## التعاون بين الحاكم والشعب

ولا يمكن أن يصلح شيء من أمور الدولة إلا إذا وجد جوّ صالح للعمل، ويوجد هذا الجو بتحقق الرغبة المشتركة بين الحاكم والمحكومين في إصلاح ما يفتقر إلى الإصلاح وتقويم ما يحتاج إلى التقويم من شؤون الناس وشؤون البلاد. والذي يعبر عن هذه الرغبة المشتركة هو تعاون الوالي مع الرعية على القيام بذلك كله، ويتحقق التعاون بينهما بأن يقوم كل منهما بما عليه من واجبات بعد أن يتلقى كل منهما ما له من حقوق.

فعلى الرعية أن تعطي الوالي ما له عليها من حقوق، فتطيعه إذا أمر، وتجيبه إذا دعا، وتنصحه إذا كان في حاجة إلى ذلك.

وعلى الوالي إذا حصل على ذلك كله أن يستغله في إصلاح شؤون رعيته.

أما حين لا تبذل الرعية للوالي طاعتها ولا تمحضه نُصْحها، ولا تلبي دعوته إذا دعا، وأما حين تفعل ذلك كله ولكن الوالي يستغله في رعاية مصالح نفسه، ويهمل مصالح رعيته فإن ذلك مؤذن بشيوع الظلم، وسيطرة الظلمة، وفساد الدولة.

قال عليه السلام: (وأعظم ما افترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالي على الرعية وحق الرعية على الوالي فريضة فرضها الله سبحانه لكل على كل، فجعلها نظاماً لألفتهم، وعزاً لدينهم، فليست تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة، ولا تصلح الولاة إلا باستقامة الرعية، فإذا أدت الرعية إلى الوالي حقه وأدى الوالي إليها حقها عز الحق بينهم، وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل، وجرت على أذلالها السنن، فصلح - بذلك - الزمان، وطمع في بقاء الدولة، ويئست مطامع الأعداء. وإذا غلبت الرعية واليها أو اجحف الوالي برعيته، اختلفت هنالك الكلمة، وظهرت معالم الجور وكثر الإدغال في الدين وتركت محاج السنن، فعمل بالهوى وعطلت الأحكام، وكثرت علل النفوس، فلا يستوحش لعظيم حق عطل ولعظيم باطل فعل، فهناك تذل الأبرار وتعز الأشرار وتعظم تبعات الله عند العباد، فعليكم بالتناصح في ذلك وحسن التعاون عليه).

وقال في التعاون بين الراعي والرعية: (.. ولكن من واجب حقوق الله على العباد: النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم، وليس امرؤ - وإن عظمت في الحق منزلته وتقدمت في الدين فضيلته - بفوق أن يعان على ما حمله الله من حقه. ولا امرؤ - وإن صغرته النفوس واقتحمته العيون بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه).

---

(١) دراسات في نهج البلاغة: محمد مهدي شمس الدين: بتصرف بسيط: ١٧٣ ١٨٦.

# ..: آداب المعاشرة والمخالطة مع الناس في كلام أهل البيت عليهم السلام

الإنسان كائن اجتماعي بطبعه يميل إلى المخالطة وينجذب نحو المعاشرة والتآلف مع الآخرين، فيتخذ الأصدقاء، ويؤسس العلاقات، ويعاشر بني قومه أو عشيرته أو جيرانه وغيرهم، فيحاول جهد طاقته أن يتعلم كيف يحسن التعامل معهم وكيف يحتفظ بمودتهم وكيف يزيد من مودته ومحبته في قلوبهم، وأهل البيت عليهم السلام ومن خلال كلماتهم وتوجيهاتهم أوضحوا قواعد وآداب المعاشرة والمخالطة التي لو روعيت لتكامل المجتمع وساد الوئام والاحترام وعمت المحبة والمودة بين سائر أفراد ذلك المجتمع، وفيما يلي بعض تلك التوجيهات والآداب:

١: عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال: (عليكم بالصلاة في المساجد وحسن الجوار للناس وإقامة الشهادة وحضور الجنائز، إنه لابد لكم من الناس إن أحدا لا يستغني عن الناس حياته والناس لابد لبعضهم من بعض) راجع: (الكافي للشيخ الكليني ج ٢ ص ٦٣٥).

وقد أجاد المولى محمد صالح المازندراني في (شرح أصول الكافي ج ١١ ص ٨٩ ـ ٩٠) في تبيان وشرح ألفاظ هذه الرواية الشريفة فقال: (قوله: «عليكم بالصلاة في المساجد» جماعة وفرادى والمراد بالصلاة الفريضة لأن النافلة في المنزل أفضل «وحسن الجوار للناس» بأن تحفظ الجار غايبا وتكرمه شاهدا وتنصره مظلوما وتستر عيوبه وتغفر ذنوبه وتخلص بصحبته وتقيل عثرته ولا تسلمه عند شدائده، وبالجملة تفعل ما يرضيه وتترك ما يؤذيه. «وإقامة الشهادة» لهم وعليهم «وحضور الجنائز» ذكر في هذا الخبر من الحقوق أربعة بعضها واجب وبعضها مندوب «أنه لابد لكم من الناس» أي من مخالطتهم ومعاشرتهم ومعاملتهم ثم أكد ذلك بقوله: «أن أحدا لا يستغني عن الناس حياته» أي في حال حياته وبقائه في الدنيا. «والناس لابد لبعضهم من بعض» ومن ثمة قيل: الناس مدنيون بالطبع يحتاج بعضهم إلى بعض في التمدن والتعايش والبقاء، إذ لا يقدر أحد على إصلاح جميع ما يحتاج إليه من المأكول والمشروب والملبوس والمسكن وغيرها وفيه دلالة على أفضلية الاجتماع والتآلف. من رجح العزلة مطلقا فقد أخطأ وما دل على رجحانها ينبغي حمله على الاعتزال من شرار الناس وأهل البدعة تحرزا عن الدخول فيما هم فيه وصرح بعضهم بأن العزلة أفضل بشرط رجاء السلامة بتحصيل منافع الاختلاط كشهود الجمعة والجماعة والجنائز وعيادة المرضى).

٢: وعن حبيب الخثعمي قال: (سمعت أبا عبد الله ـ الصادق ـ عليه السلام يقول: عليكم بالورع والاجتهاد واشهدوا الجنائز وعودوا المرضى واحضروا مع قومكم مساجدكم وأحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف جار (الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٦٣٦).

قال المولى محمد صالح المازندراني في (شرح أصول الكافي ج ١١ ص ٩٠ــ ٩١): (قوله: «عليكم بالورع» في الدين بفعل الطاعات وترك المنهيات والتمسك بالآداب الشرعية والآثار النبوية «والاجتهاد» لله في العلم والعمل وإصلاح النفس وإرشاد الخلق. «وأحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم» هذا هو الإنصاف التابع للاستقامة في القوة الشهوية والعقلية والغضبية ولعل المراد بالناس الفرقة الناجية لأن المحبة وهي أمر قلبي غير مطلوبة بالنسبة إلى غيرهم وإنما المطلوب مع غيرهم حسن المعاشرة بحسب الظاهر لدفع الضرر وتكميل النظام «أما يستحيي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حق جاره» الحياء حالة نفسانية مانعة من القبايح للفرار من اللوم، وفيه ترغيب في رعاية حقوق الجار سيما إذا كان أحد الجارين مراعيا لها لأن معاملة الإحسان بالإحسان أحسن وأتم ومعاملته بالإساءة أقبح وألوم).

٣: عن أبي أسامة زيد الشحام

قال: قال لي أبو عبد الله ــ الصادق ــ عليه السلام: (اقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السلام و أوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاء محمد صلى الله عليه وآله، أدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها برا أو فاجرا، فان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمر بأداء الخيط والمخيط صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الأمانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري فيسرني ذلك ويدخل علي منه السرور وقيل: هذا أدب جعفر وإذا كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره وقيل: هذا أدب جعفر، فوالله لحدثني أبي عليه السلام أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة علي عليه السلام فيكون زينها آداهم للأمانة وأقضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث، إليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول: من مثل فلان إنه لآدانا للأمانة وأصدقنا للحديث) (الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٦٣٦ ـ٦٣٧ ).

قال المولى محمد صالح المازندراني في (شرح أصول الكافي ج ١١ ص ٩١ ): (قوله : «وأوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع» التقوى : كف النفس عما يؤثم ، والورع : كفها عنه وعما يشغله عنه تعالى وإن كان حلالا . «كان يأمر بأداء الخيط والمخيط» الخيط السالك والمخيط كمنبر الإبرة . «صلوا عشائركم» عشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون أو قبيلته لأنه يعاشرهم ويعاشرونه من العشرة وهي الصحبة والخلطة «قيل : هذا جعفري فيسرني ذلك» هذا بعض فوائد تلك الخصال ولها فوائد كثيرة في الدنيا والآخرة مذكورة في محلها . «فيكون زينها آداهم للأمانة» آداهم بعد الألف يقال : فلان آدى منك للأمانة إذا كان أحسن أداء ).

٤ : وعن أبي الربيع الشامي قال : (دخلت على أبي عبد الله عليه السلام والبيت غاص بأهله فيه الخراساني والشامي ومن أهل الآفاق فلم أجد موضعا أقعد فيه فجلس أبو عبد الله عليه السلام وكان متكئا ثم قال : يا شيعة آل محمد اعلموا أنه ليس منا من لم يملك نفسه عند غضبه ومن لم يحسن صحبة من صحبه ومخالقة من خالقه ومرافقة من رافقه ومجاورة من جاوره وممالحة من مالحه ، يا شيعة آل محمد اتقوا الله ما استطعتم ولا حول ولا قوة إلا بالله ) (الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٦٣٧ ).

قال المولى محمد صالح المازندراني في (شرح أصول الكافي ج ١١ ص٩٢ ــ ٩٣ ): (قوله : «اعلموا أنه ليس منا» أي من زمرتنا وشيعتنا أو من مذهبنا وملتنا «من لم يملك نفسه عند غضبه» مبادئ الغضب ــ وهو حركة النفس نحو الانتقام بسبب الطغيان في القوة الغضبية ـ داخلة تحت قدرة العبد فلابد له من الإقدام على دفعها بملاحظة الآيات والروايات الدالة على ذم الغضب وحسن المعافاة. «ومن لم يحسن صحبة من صحبه» في السفر أو الحضر ومن حسنها طلاقة الوجه والبشاشة والسلام والكلام والمصافحة والمؤاكلة معه وتحصيل ما يحتاج إليه ورفع ما يغتم منه والانتظار له إذا نزل والارتحال معه إذا ارتحل ، ونقل عن بعض المسافرين أنه قال : أدركنا المطر ليلة في صحراء فدعاني صاحبي وأجلسني إلى جنب حائط ثم أحنى علي متكئا بيديه على الحائط يظلني من المطر حتى سكن المطر . «ومخالقة من خالقه ومرافقة من رافقه» خالقهم عاشرهم بحسن خلق ... «ومجاورة من جاوره» المجاورة بالجيم في النسخ التي رأيناها يقال جاوره مجاورة إذا صار جاره وإذا استجاره...والمراد بالمجاورة على الأول رعاية حقوق الجار وعلى الثاني إجارته وإنقاذه عن المكاره كلها ).

٥ : وعن علاء بن الفضيل ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (كان أبو جعفر عليه السلام يقول: عظموا أصحابكم ووقروهم ولا يتهجم بعضكم على بعض ولا تضاروا ولا تحاسدوا وإياكم والبخل كونوا عباد الله المخلصين ) (الكافي للشيخ الكليني ج٢ ص٦٣٧ ).

قال المولى محمد صالح المازندراني في (شرح أصول الكافي ج ١١ ص٩٣ ): (قوله «عظموا أصحابكم ووقروهم» التوقير التعظيم فالعطف للتأكيد والمبالغة في الإتيان بجميع أنحائه وتخصيص أحدهما بفعل ما يوجب التعظيم والآخر بترك ما يوجب التحقير «ولا يتهجم بعضهم على بعض» أي لا يدخل عليه بغتة وغفلة من غير إذن حذرا من المخافة ورؤية ما يكرهه وقد كان الاستيذان دأب الأنبياء والصالحين ).

لا ريب في أنه بازاء كل فضيلة رذيلة هي ضدها، ولما عرفت أن أجناس الفضائل أربعة فاجناس الرذائل ايضاً في بادئ النظر أربعة: الجهل، وهو ضد الحكمة، والجبن، وهو ضد الشجاعة، والشره وهو ضد العفة، والجور، وهو ضد العدالة، وعند التحقيق يظهر أن لكل فضيلة حداً معيناً، والتجاوز عنه بالافراط أو التفريط يؤدي إلى الرذيلة، فالفضائل بمنزلة الأوساط، والرذائل بمثابة الأطراف، والوسط واحد معين لا يقبل التعدد، والأطراف غير متناهية عدداً، فالفضيلة بمثابة مركز الدائرة، والرذائل بمثابة سائر النقاط المفروضة من المركز إلى المحيط، فان المركز نقطة معينة، مع كونه ابعد النقاط من المحيط، وسائر النقاط المفروضة من جوانبه غير متناهية، مع أن كلا منها أقرب منه من طرف اليه.

فعلى هذا يكون بازاء كل فضيلة رذائل غير متناهية، لأن الوسط محدود معين، والأطراف غير محدودة، وتكون الفضيلة في غاية البعد عن الرذيلة التي هي نهاية الرذائل، ويكون كل منها أقرب منها إلى النهاية، ومجرد الانحراف عن الفضيلة من أي طرف اتفق يوجب الوقوع في رذيلة. والثبات على الفضيلة والاستقامة في سلوك طريقها بمنزلة الحركة على الخط المستقيم، وارتكاب الرذيلة كالانحراف عنه، ولا ريب في أن الخط المستقيم هو أقصر الخطوط الواصلة بين النقطتين، وهو لا يكون إلا واحداً، وأما الخطوط المنحنية بينهما فغير متناهية، فالاستقامة في طريق الفضيلة وملازمتها على نهج واحد، والانحراف عنه تكون له مناهج غير متناهية، ولذلك غلبت دواعي الشر على بواعث الخير.

ويظهر مما ذكر أن وجدان الوسط الحقيقي صعب، والثبات عليه بعد الوجدان أصعب لأن الاستقامة على جادة الاعتدال في غاية الاشكال، وهذا معنى قول الحكماء «اصابة نقطة الهدف أعسر من العدول عنها، ولزوم الصوب بعد ذلك حتى لا يخطيها أسر» ولذلك لما أمر فخر الرسل بالاستقامة في قوله تعالى: ( فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ).

قال شيبتني سورة هود عليه السلام، إذ وجدان الوسط الحقيقي فيما بين الأطراف غير المتناهية المتقابلة مشكل، والثبات عليه بعد الوجدان اشكل.

وقال (المحقق الطوسي) وجماعة: (إن ما ورد في اشارات النواميس من ان الصراط المستقيم أدق من الشعر، وأحد من السيف اشارة إلى هذا المعنى) وغير خفي بأن هذا التأويل جرأة على الشريعة القويمة، وهتك لأستار السنة الكريمة، والواجب الإذعان بظاهر ما ورد من أمور الآخرة، نعم يمكن ان يقال كمامر: إن الأمور الاخروية التي حصل بها الوعد والوعيد كلها أمور محققة ثابتة على ما اخبر به، الا انها صور للأخلاق، والصفات المكتسبة في هذه النشأة قد ظهرت بتلك الصور في دار العقبى بحسب المرتبة، إذ ظهورات الأشياء مختلفة بحسب اختلاف المراتب والنشآت، فمواد ما يؤذي ويريح من الصور في موطن المعاد انما هو الأخلاق والنيات المكتسبة في هذه النشأة. وهذا المذهب مما استقر عليه آراء اساطين الحكمة والعرفان، وذكرنا الظواهر الدالة عليه من الآيات والأخبار، واشرنا إلى حقيقة الحال فيه، وفي هذا فالصراط المستقيم الممدود كالجسر على الجحيم صورة لتوسط الأخلاق، والجحيم صورة لأطرافها، فمن ثبت قدمه على الوسط هنا لم يزل عن الصراط هناك ووصل إلى الجنة التي وعدها الله المتقين، ومن مال إلى الأطراف هنا سقط هناك في جهنم التي احاطت بالكافرين.

ثم الوسط إما حقيقي وهو ما تكون نسبته إلى الطرفين على السواء كالأربعة بالنسبة إلى الاثنين والستة، وهذا كالمعتدل الحقيقي الذي انكر الاطباء وجوده، أو إضافي وهو اقرب ما يمكن تحققه للنوع أو الشخص إلى الحقيقي، ويتحقق له كمالهما (اللائق

بحالهما ) وان لم يصل اليه، فالتسمية بالوسط انما هو بالنسبة إلى الأطراف التي هي أبعد من الحقيقي بالاضافة إليه، وهكذا كالاعتدالات النوعية والشخصية التي اثبتها الاطباء، فان المراد منها الاعتدالات التي يمكن تحققها للأنواع والأشخاص، وهو القدر الذي يليق بكل نوع أو شخص أن يكون عليه، وان لم يكن اعتدالاً حقيقياً بمعنى تساوي الأجزاء البسيطة العنصرية وتكافئها في القوة والأقربية إلى الحقيقي بالنسبة إلى سائر الاطراف سمي اضافياً.

ثم الوسط المعتبر هنا هو الاضافي لتعذر وجدان الحقيقي والثبات عليه، ولذا تختلف الفضيلة باختلاف الأشخاص والاحوال والأزمان، فربما كانت مرتبة من الوسط الاضافي فضيلة بالنظر إلى شخص أو حال أو وقت، ورذيلة بالنسبة إلى غيره. وتوضيح الكلام انه لا ريب في ان الوسط الحقيقي في الأخلاق لكونه في حكم نقطة غير منقسمة لا يمكن وجدانه و الثبات عليه، ولذا ترى من هو متصف بفضيلة من الفضائل لا يمكن الحكم بكون تلك الفضيلة (هي الوسط الحقيقي، إلا انه لما كانت تلك الفضيلة ) قريبة إليه ولا يمكن وجود الأقرب منها إليه له، يحكم بكونها وسطاً اضافياً لأقربيتها إليه بالنسبة إلى سائر المراتب فالاعتدال الاضافي له عرض، وسطه الاعتدال الحقيقي، وطرفاه طرفا الافراط والتفريط، إلا انه ما لم يخرج عن هذين الطرفين يكون اعتدالاً اضافياً، كلما كان اقرب إلى الحقيقي كان أكمل وأقوى، وإذا خرج عنهما دخل في الرذيلة.

لا يقال: على هذا ينبغي أن يكون الاعتدال الطبي في المزاج أيضاً كذلك أى له عرض وسطه الاعتدال الحقيقي وطرفاه خارجان عن الاعتدال الطبي ، حتى انه كلما قرب إلى الحقيقي صار الطبي أقوى وأكمل مع انه ليس الأمر كذلك، إذ القياس يقتضي الخروج عن الاعتدال الطبي، أو ضعفه لقربه إلى الحقيقي.

(بيان ذلك ) ان الاعتدال الحقيقي في المزاج أن تكون أجزاء العناصر متكافئة القوة، والاعتدال الطبي في نوع الانسان أو شخص من اشخاصه ان تكون الأجزاء الحارة مثلاً من عشرة إلى اثني عشرة، والباردة من ثمانية إلى تسعة، واليابسة من سبعة إلى ثمانية، والرطبة من ستة إلى سبعة، فإذا كانت الأجزاء الحارة ستة، والباردة خمسة، واليابسة أربعة، والرطبة ثلاثة، كانت خارجة عن الاعتدال الطبي ، مع صيرورته أقرب إلى الحقيقى، بل إذا فرضت تكافؤ أجزاء العناصر الاربعة حتى حصل نفس الاعتدال الحقيقي خرجت أيضاً عنه، فلا يكون الحقيقي وسط الطبى حتى انه كلما يصير إليه أقرب يكون أقوى وأكمل.

لأنا نقول نحن لا ندعي: أن الحقيقى وسط الطبى بل هو أمر مغاير له، والحقيقي في طرفه الخارج، فان له طرفين: (احدهما ) أن تصير الاجزاء أقرب في التساوي مما كان للطبي إلى أن تبلغ إلى الحقيقي، و(الثاني ) أن يصير أبعد فيه مما كان له إلى غير النهاية، إلا أن بعض مراتب الطرفين التي منها الاعتدال الحقيقي غير ممكن الوقوع فتأمل.

فإن قيل: ان الوسط المعتبر هنا لو كان اضافياً، لكان له عرض كعرض المزاج، فلا يناسب وصفه بالحدة والدقة، قلنا: كما في عرض المزاج مرتبة هي أفضل المراتب وأقربها إلى الاعتدال الحقيقى، كذلك في عرض الوسط للملكات مرتبة هي أفضل المراتب وأقربها إلى الحقيقي، وهي المطلوبة بالذات، ولا ريب في أن خصوص هذه ليس لها عرض واسعة، فلا بأس بوصفها بالدقة والحدة، وأما سائر المراتب المعدودة من الوسط وان لم تكن خالية عن شوائب الإفراط والتفريط، إلا أنه لما كان لها قرب محدود إلى المرتبة المطلوبة بحيث يصدق معه كون النوع أو الشخص باقياً على كماله اللائق به عدت من الأوساط والفضائل، كما ان غير الأقرب إلى الاعتدال الحقيقى من مراتب عرض المزاج يعد من الاعتدال: لكون النوع أو الشخص معه باقياً محفوظاً بحيث لا يظهر خلل بيّن في أفعاله وإن لم يخل عن الانحراف، ولو وصفت هذه المراتب أيضاً بالحدة والدقة مع سعتها فوجهه أن وجدانها والثبات عليها لا يخلو أيضاً من صعوبة[1].

---

١. جامع السعادات: محمد مهدي النراقي، ج١، ص٦٩ . ٧٥.

# ما هي المعجزة وكيف يستدل بها على صدق الأنبياء والـ

## ما هي المعجزة ؟

## ما هي شروط المعجزة؟

## كيف نستدل بالمعجزة على صدق دعوى النبي؟

# الشيخ مرتضى الأنصاري نخبة الأوائل والأواخر

## اسمه ونسبه

هو الشيخ مرتضى بن الشيخ محمد أمين بن الشيخ مرتضى بن الشيخ شمس الدين بن الشيخ محمد شريف ابن الشيخ أحمد بن الشيخ جمال الدين ابن الشيخ حسن بن الشيخ يوسف بن الشيخ عبيد الله بن الشيخ قطب الدين محمد بن زيد بن أبي طالب المعروف بجابر الصغير بن عبد الرزاق بن جميل ابن جليل بن نذير بن جابر بن عبد الله الأنصاري. ولأجل كون انتهاء نسبه إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله عليه كانت تسميته بالأنصاري.

## مولده وبعض أخبار أسرته

ولد شيخنا الأعظم في أعظم عيد للشيعة، ألا وهو عيد الغدير الأغر، سنة ١٢١٤ للهجرة، في مدينة دزفول جنوب إيران.

أما أبوه (محمد أمين) فكان من العلماء العاملين والمروجين للدين المبين، وكان من وجهاء مدينة دزفول وله ثلاثة أولاد: المترجم، والشيخ منصور، وكان أديبا فقيها أصوليا حافظا للقرآن، والشيخ محمد صادق، وكان عالما جليل القدر فاضلا زاهدا، وكانت الفاصلة بين واحد وآخر عشر سنين، وكان الشيخ المترجم أكثر محبة وعطوفة عند والده من أخويه، وتوفي الشيخ محمد أمين سنة ١٢٤٨ هـ في دزفول.

وأما أمه فهي بنت الشيخ يعقوب ابن الشيخ أحمد الأنصاري، وكانت من النساء الصالحات العابدات في زمانها، بحيث لم تترك نوافل الليل إلى آخر عمرها، وكان ولدها الشيخ الانصاري يعتني بها كثيرا، بحيث كانت من عادته أن يذهب إليها بعد انتهائه من التدريس ويتحدث معها ويلاطفها ويمازحها ويدخل السرور على قلبها، وكان يهيّئ لها كل ما تحتاجه حتى إسخان الماء في الشتاء لوضوئها، ولما فقدت بصرها كان يأخذها إلى مصلاها للعبادة ويهيّئ لها مقدمات العبادة، إلى أن توفيت سنة ١٢٧٩ هـ في النجف الأشرف.

وأما جده وهو الشيخ مرتضى فكان من العلماء الأتقياء، وكانت له في الفقه وغيره مؤلفات قيمة، ولشيخنا الأنصاري - نوّر الله ضريحه - ثلاث زوجات: الأولى: بنت الشيخ حسين الأنصاري أول أساتذته، وكانت عالمة فاضلة متعبدة، ولها بنت واحدة زوجها الشيخ لابن أخيه الشيخ محمد حسن، وكان عالما متبحرا في العلوم ورعا، وله أعقاب كثيرون.

والثانية: بنت الميرزا مرتضى المطيعي الدزفولي، ولها بنت واحدة زوجها الشيخ للسيد محمد طاهر الدزفولي، وكان أيضا عالما زاهدا تقيا، وله أعقاب. الثالثة: كانت من أهالي رشت أو أصفهان.

## رحلته في طلب العلم

قرأ الشيخ الأنصاري دروسه الأولى في دزفول على الشيخ حسين الدزفولي الذي كان أحد العلماء البارزين فيها. ولما سافر مع والده لزيارة المراقد المشرفة، ذهب هو وأبوه لزيارة السيد محمد المجاهد أحد رؤساء الحوزة العلمية في كربلاء وبعد محاورة مشهورة جرت بين الشيخ الأنصاري وبين السيد محمد المجاهد، طلب السيد المجاهد من والد الشيخ الأنصاري أن يبقي الشيخ الأنصاري في كربلاء فوافق، وبقي الشيخ في كربلاء، وتعهد السيد بجميع ما يحتاجه الشيخ، فكان الشيخ مدة بقائه في كربلاء يتردد كثيرا على السيد ويدرس عنده وعند شريف العلماء.

ثم رحل الشيخ الأنصاري إلى النجف الأشرف وبقي فيها سنة أو أكثر حضر درس المحقق الفقيه موسى كاشف الغطاء واستفاد من أبحاثه الثمينة. ثم ارتحل الى مشهد ثم إلى بروجرد ورحل منها إلى أصفهان ثم ارتحل إلى مدينة كاشان وبقي فيها أربع سنوات استفاد فيها من دروس الملا أحمد النراقي.

وبعد هذه الرحلة الطويلة ذهب إلى مدينة النجف الأشرف ليستقر فيها ويستفيد من علمائها، فحضر درس الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء، ودرس الشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، والشيخ علي كاشف الغطاء هو آخر أستاذ درس عنده الشيخ الأنصاري، ومن بعده لم يدرس على أحد، بل كانت له حوزة مستقلة عامرة يدرس فيها

ولما توفي الشيخ علي كاشف الغطاء كانت زعامة الشيعة بيد الشيخ حسن كاشف الغطاء، وبعد وفاة الشيخ حسن كاشف الغطاء عام ١٢٦٢ هـ اختصت المرجعية بالشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.

وفي سنة ١٢٦٦ هـ مرض صاحب الجواهر، فأمر بتشكيل مجلس يحوي جميع العلماء، فلما حضر جميع العلماء عنده قال صاحب الجواهر: أين الشيخ مرتضى، ثم أمر بإحضاره، فلما بحثوا عنه وجدوه في حرم أمير المؤمنين عليه السلام يدعو لصاحب الجواهر بالشفاء، وعند انتهائه من الدعاء حضر عند صاحب الجواهر، فأجلسه على فراشه وأخذ بيده ووضعها على قلبه وقال: الآن طاب لي الموت، ثم قال للحاضرين: هذا مرجعكم من بعدي، ثم قال للشيخ: قلل من احتياطاتك، فإن الشريعة سمحة سهلة. وهذا العمل من صاحب الجواهر ليس إلا لتعريف شخصية الشيخ الأنصاري وأعلميته، وإلا فالمرجعية غير قابلة للوصية. فاستلم شيخنا الأنصاري قدس الله نفسه الزكية زعامة الشيعة ومرجعيتها من سنة ١٢٦٦ إلى سنة ١٢٨١.

## بعض ما قيل في مدحه

قال أستاذه الملا احمد النراقي في إجازته له: (وكان ممن جد في الطلب، وبذل الجهد في هذا المطلب، وفاز بالحظ الأوفر الأسنى، وحظي بالنصيب المتكاثر الأهنى، من ذهن ثاقب وفهم صائب، وتدقيق وتحقيق... والورع والتقوى والتمسك بتلك العروة الوثقى، العالم النبيل والمهذب الأصيل، الفاضل الكامل والعالم العامل، حاوي المكارم والمناقب والفائز بأسنى المواهب، الألمعي المؤيد والسالك من طرق الكمال للأسد، ذو الفضل والنهى والعلم والحجى... أيده الله بتأييداته وجعله من كُمَّل عبيده، وزاد الله في علمه وتقاه وحباه بما يرضيه ويرضاه).

وقال الميرزا حبيب الله الرشتي: (هو تال العصمة علما وعملا... مع أنه في جودة النظر يأتي بما يقرب من شق القمر).

وحينما رآه النائب السياسي البريطاني في العراق في الصحراء قاصدا زيارة قبر سلمان الفارسي قال: (أقسم بالله هو عيسى بن مريم أو نائبه الخاص).

وقال عنه السيد الخونساري: (كان فقيها أصوليا متبحرا في الأصول، لم يسمح الدهر بمثله، صار رئيس الشيعة الإمامية، وكان يضرب به المثل أهل زمانه في زهده وتقواه وعبادته وقداسته، وقد أدركت زمانه وشاهدت طلعته ونظرت إلى مجلس بحثه، ورأيته يوما ورجل يمشي إلى جنبه، وأتذكر أنه أبيض اللون نحيف الجسم خضب كريمته بالحناء، يلبس لباس الفقراء وعليه عباءة صوف غليظة كدرة، وكان مدرسا بارعا تتلمذ عليه عيون العلماء والأساتذة، وحدثوا أنه كان متقنا للنحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان، وسمع أنه استطرق كتاب المطول للتفتازاني أربعين مرة ما بين بحث ودرس وتدريس، وله في التدريس طريق خاص وأسلوب فقده معاصروه، من طلاقة في القول، وفصاحة في المنطق، وحسن تقريب آراء المحققين، وبيان رأي المحتكر من المبتكر، وإبراز المآرب، والاستدلال عليها بأحسن بيان وأقطع برهان... وقد جمع بين الحفظ، وسرعة الانتقال، واستقامة الذهن، وقوة الغلبة على من يحاوره... وكان عالي الهمة أبيا، ومن علو همته أنه كان يعيش عيشة الفقراء، ويبسط البذل على الفقراء والمحتاجين سرا).

## وفاته ومدفنه

توفي شيخنا في النجف الأشرف بداره في محلة الحويش، وغسل على ساحل بحر النجف غربي البلد، نصبت له خيمة هناك، وهي أول خيمة نصبت في هذا الشأن. وكانت وفاته بعد مضي ست ساعات من ليلة السبت الثامن عشر من جمادى الثانية سنة ١٢٨١ للهجرة، وكان قد بلغ من العمر سبعاً وستين سنة.

وقد غسله بحسب وصيته تلميذاه العالمان الحاج مولى علي محمد الخوئي والآخوند المولى علي محمد الطالقاني. ولما سمع الناس بوفاة الشيخ هاجوا بجميع طبقاتهم من كل جانب ومكان لتشييع جثمانه، حتى اتصل السواد من سور النجف إلى ساحل البحر، ولم يكن له قدس سره قرابة وجاه في البلد سوى تقاه وعلمه الجم الذي كان يضيئ.

وصلى عليه بوصية منه الحاج السيد علي الشوشتري. ودفن في صحن أمير المؤمنين عليه السلام في الحجرة المتصلة بباب القبلة في جوار عديله في الصلاح والزهد الشيخ حسين نجف، وقبره معروف لحد الآن وعليه شباك. ولما توفي الشيخ كان عنده سبعة عشر تومان إيراني، وبهذا المقدار كان مقروضا بحيث لم يستطع أقرباؤه أن يقيموا العزاء عليه، فقام بنفقة عياله ومصرف فاتحته ستة أيام رجل نجفي من أهل المجد.

# طاعة ملك الموت للإمام الصادق عليه السلام

الراوندي: قال: إن صفوان بن يحيى قال: قال لي العبدي: قالت أهلي لي: قد طال عهدنا بالصادق عليه السلام فلو حججنا وجددنا به العهد. فقلت لها: والله ما عندي شيء أحج به، فقالت: عندنا كسوة وحلي، فبع ذلك وتجهز به، ففعلت، فلما صرنا بقرب المدينة مرضت مرضا شديدا فأشرفت على الموت فلما دخلنا المدينة خرجت من عندها وأنا آيس منها، فأتيت الصادق عليه السلام وعليه ثوبان ممصران[1] فسلمت عليه، فأجابني وسألني عنها، فعرفته خبرها وقلت: إني خرجت وقد آيست منها. فأطرق مليا. ثم قال: يا عبدي أنت حزين بسببها؟ قلت: نعم. قال: لا بأس عليها، فقد دعوت الله لها بالعافية، فارجع إليها فإنك تجدها قد فاقت وهي قاعدة، والخادمة تلقمها الطبرزد[2]، قال: فرجعت إليها مبادرا، فوجدتها قد أفاقت وهي قاعدة، والخادمة تلقمها الطبرزد. فقلت: ما حالك؟ قالت قد صب الله علي العافية صبا وقد اشتهيت هذا السكر، فقلت: خرجت من عندك آيسا، فسألني الصادق عليه السلام عنك فأخبرته بحالك، فقال: لا بأس عليها ارجع إليها فهي تأكل السكر. قالت: خرجت من عندي وأنا أجود بنفسي، فدخل علي رجل عليه ثوبان ممصران قال: مالك؟ قلت: أنا ميتة، وهذا ملك الموت قد جاء يقبض روحي. فقال: يا ملك الموت. قال: لبيك أيها الامام. قال: ألست أمرت بالسمع الطاعة لنا؟ قال: بلى. قال: فاني آمرك أن تؤخر أمرها عشرين سنة. قال: السمع والطاعة. قالت: فخرج هو وملك الموت من عندي فأفقت من ساعتي[3].

**ضمانه عليه السلام بالجنة لأحد التائبين**

عن علي بن أبي حمزة قال: كان لي صديق من كتاب بني أمية فقال لي: استأذن لي على أبي عبد الله عليه السلام فاستأذنت له، فأذن له، فلما أن دخل سلم وجلس ثم قال: جعلت فداك إني كنت في ديوان هؤلاء القوم فأصبت من دنياهم مالاً كثيراً، وأغمضت في مطالبه.

فقال أبو عبد الله عليه السلام: لولا أن بني أمية وجدوا من يكتب لهم ويجبي لهم الفيء ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا، ولو تركهم الناس وما في أيديهم ما وجدوا شيئا إلا ما وقع في أيديهم. قال: فقال الفتى: جعلت فداك فهل لي مخرج منه؟ قال: إن قلت لك تفعل؟ قال: أفعل، قال له: فاخرج من جميع ما اكتسبت في ديوانهم، فمن عرفت منهم رددت عليه ماله، ومن لم تعرف تصدقت به، وأنا أضمن لك على الله عز وجل الجنة قال: فأطرق الفتى رأسه طويلا ثم قال له: قد فعلت جعلت فداك. قال ابن أبي حمزة: فرجع الفتى معنا إلى الكوفة فما ترك شيئا على وجه الأرض إلا خرج منه، حتى ثيابه التي كانت على بدنه، قال: فقسمت له قسمة واشترينا له ثيابا وبعثنا إليه بنفقة، قال: فما أتى عليه إلا أشهر قلائل حتى مرض، فكنا نعوده، قال: فدخلت عليه يوما وهو في السوق، قال: ففتح عينيه ثم قال لي يا علي وفى لي والله صاحبك، قال: ثم مات فتولينا أمره، فخرجت حتى دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فلما نظر إلي قال: يا علي وفينا والله لصاحبك، قال: فقلت له: صدقت جعلت فداك، هكذا والله قال لي عند موته[4].

---

١. الممصرة من الثياب: التي فيها صفرة خفيفة.

٢. طبرزد: على وزن سفرجل: معرب، ومنه حديث السكر الطبرزد يأكل الداء أكلاً وقيل الطبرزد هو سكر الابلوج، وبه سمي نوع من التمر لحلاوته.

٣. الخرائج والجرائح ج١ ص٢٩٤.

٤. مدينة المعاجز ج٥ ص٣٠٧.

# من كرامات الشهيد الأول

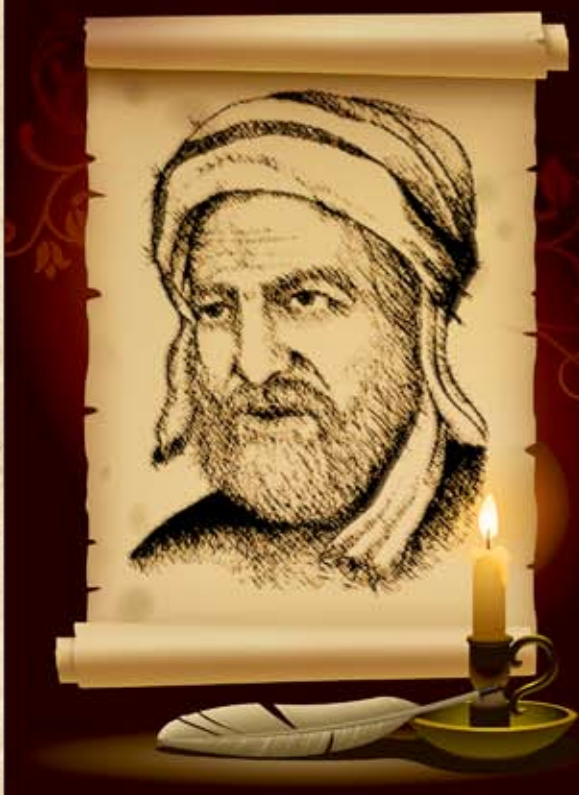

عاش المجتهد المجاهد الشيخ محمد بن جمال الدين مكي العاملي المعروف بالشهيد الأول في عصر سادت فيه توترات طائفية حادة بين الجهلة من المسلمين السنة والشيعة.

وقدر للشهيد أن يكون لنفسه في الشام «محل إقامته» مكانة اجتماعية وفكرية كبيرة، وبشكل خاص في مدينة دمشق. فكان موضع احترام الشخصيات السياسية والدينية من السنة والشيعة. وهذا يدل على حكمة الشهيد وقدرته الثقافية وحسن سلوكه الذي استطاع به احتواء الخلافات الطائفية التي كانت تغذيها الصليبية الحاقدة على الإسلام والمسلمين لتثبت قواعد احتلالها للبلاد الإسلامية.

لقد استفاد الشهيد الأول من علاقاته الطيبة مع الجميع ليوجههم نحو الإصلاحات السياسية وتوحيد صفوف السنة والشيعة.

بهذا التوجه التوحيدي للشهيد الاول أصبح بيته ملتقى علماء السنة والشيعة وعززت ديوانيته المفتوحة مكانته الرفيعة بين الناس مما جعلت الحكومة تراقبه بشدة. وفي هذه الفترة بعث اليه حاكم خراسان «علي بن مؤيد». أحد ملوك «سربداران» الذي تولى الحكم سنة «٧٦٦هـ». رسالة يطلب منه أن يقدم إلى خراسان ليتصدى منصب المرجعية الشيعية الكبرى، فرفض الشهيد الاول هذا الطلب، ولكنه كتب في جوابه كتاباً حول احكام الشريعة الإسلامية ليكون بمثابة دستور لتلك الدولة الإسلامية، وسماه «اللمعة الدمشقية». ومن غريب الاتفاق ان «ديوانية الشهيد» التي لم تكن تخلو من الوجهاء والعلماء والمراقبين والشخصيات السياسية قد أصبحت خالية مدة انشغال الشهيد بتأليف هذا الكتاب، وهي مدة أسبوع فقط، حيث اكمل فيه تأليفه للكتاب الذي احتل القمة من بين الكتب الفقهية للشيعة، لأنه جمع بين الوجازة والاختصار إلى جانب روعة التعبير إلى تنسيق الابواب والاحكام والمسائل بشكل منظم وعمق فكري مما قد خلد الكتاب إلى هذا اليوم، اذ يدرسه كل طالب في الحوزات العلمية والمدارس الدينية.

وقد اعتبر بعض العلماء ان خلو ديوانيته المزدحمة بشكل طبيعي ممن كان الشهيد يحذر منهم مدة اسبوع. لتأليف هذا الكتاب العلمي الدقيق والكبير، الذي هو بحد ذاته يفتقر إلى وقت طويل. من كرامات الشهيد الأول وتوفيق إلهي خارق للعادة. وكان الله قد أعانه في هذا التوفيق العظيم ليجمع بين انجازه لهذه الخدمة، وبين حرصه الأكيد على عدم اثارة ما يسبب الخلافات الطائفية البغيضة[1]. هذا ولقد استشهد الشيخ سنة «٧٨٦هـ» بطريقة فجيعة ولها قصة طويلة ذات مداخلات طائفية. أبعد الله شر أمثالها عن المسلمين كافة.

---

١. اللمعة الدمشقية: الشهيد الأول، ج١ ص١٠٨ . ١٣٩.

# الخوف عند الأطفال

## أهمية الخوف في حياة الطفل

من المؤكد أن قلب الأم ينخلع ويهلع عندما ترى طفلها خائفاً أول مرة. إن خوف الطفل يجعل الأم ترغب في حمايته. لأنها تعرف أنه كائن ضعيف وحمايته واجبة. فقد يخاف الطفل ويصرخ من رؤية أي كلب... فيرفض اللعب بالحديقة خوفاً من أن يمر بجانبه. وإذا صدف ومر من جانبه كلب ما فإنه يصرخ برعب رهيب، وتتجمد عضلاته وتتسارع دقات قلبه بصورة ملحوظة.. وليس من الضروري أن يكون تصرفه ناتجاً عن عظة كلب في مرة سابقة. وقد يرفض الطفل النوم بمفرده في غرفته ويطلب من الأم أن تضيء له نور الغرفة، أو أن تنام بجانبه، وحالما ينام وتطفئ النور وتعود الأم بشكل هادئ إلى غرفتها يستيقظ ثانية مطالباً بإضاءة الغرفة من جديد. وربما يكون الطفل من الأطفال الذين يخافون النار أو الأشياء الوهمية غير الموجودة كالعفاريت والوحوش.. أو الرعد.. أو الماء.. الزحام أو الغرباء أو الأماكن المرتفعة أو المغلقة.. وقبل أن نعالج مشكلة الخوف لا بد أن نحدد معناه.

إن الخوف هو انفعال شديد، تثيره مواقف عديدة، ويأخذ أشكالاً متعددة الدرجات، فقد يصل إلى مجرد الحذر، أو إلى الهلع والرعب. ويعد الخوف إحدى القوى التي قد تعمل على البناء أو على الهدم في تكوين الشخصية ونموها. فإذا سيطر العقل على الخوف أصبح هذا من أعظم القوى نفعاً للمجتمع، وأصبحت له قيمة بنائية فائقة.

إن الطبيعة تحاول أن تعلم الطفل وجود خوف من الحياة، لأن الخوف كإحساس لابد وأن يتكون لدى الطفل ليتعلم كيف يحافظ على نفسه. إنه أحد الدوافع الأساسية التي تجعل الإنسان يتقدم. فهو يقوي إدراك الطفل، ويجعله أكثر يقظة لما يحيط به من أخطار. ويساعده على تكوين طاقته الضرورية لمواجهة المواقف الخطيرة، ويجعله على أهبة الاستعداد للعمل، إنه استجابة طبيعية للأحداث التي تهدد أمنه الشخصي ... وكل أم تدرب طفلها على تجنب الأخطار وتعده للتغلب على الأوضاع الطارئة. وقد ينظر الكبار إلى مخاوف الطفل على أنها حمق وقصور في الإدراك، وهذا راجع إلى عجزهم عن إدراك بعض خبرات الطفولة، وفهم التجارب التي يمر بها الطفل أو التي مر بها من قبل.

في الواقع ليس هناك من انفعال يكثر تعرض الطفل له أكثر من الخوف الذي تثيره أسباب متعددة، ويؤدي في الوقت نفسه دوراً كبيراً في نمو شخصية الطفل. والأم الواعية الذكية تقلع عن إثارة الخوف في طفلها كنوع من العقاب، أو طريقة تغرس السلوك الطيب فيه.

## أسباب الخوف عند الطفل

إن للبيئة التي يعيش فيها الطفل دوراً كبيراً في اكتسابه الخوف المدمر، فالطفل يقلد من حوله، ويخاف من الأشياء التي يخاف منها أخوه مثلاً، كما ينتقل الخوف إلى الطفل بواسطة الإيحاء والتجربة المؤلمة التي مر بها مع الشيء الذي سبب له الخوف. كأن يخاف الطفل بعد أن يعضه كلب ما. أو يخاف من طبيب الأسنان لأنه خلع له ضرساً. وقد تكون تهديدات الأهل للطفل بأشياء مجهولة بالنسبة إليه كالعفاريت والجن سبباً في خوفه من هذه الأشياء.

وتشير معظم الدراسات إلى أن ارتباطاً وثيقاً بين مخاوف الأطفال ومخاوف الأمهات موجود. فالطفل يلتقط مخاوف أمه من خلال انفعالات الخوف التي تتعرض لها، أو من خلال طريقتها في الكلام عن شيء ما يخيفها. وكلما كانت الأم أكثر ميلاً للخوف تأثر طفلها بذلك.

وترى الدكتورة «ماري كوفر جونز» المتخصصة في علم نفس الطفولة. أن للمحاكاة الاجتماعية دوراً في حدوث الخوف عند بعض الأطفال، فقد قامت بتجربة وضعت فيها طفلين بغرفة واحدة، من أجل أن يلعبا، ولما كان أحد هذين الطفلين يخاف الأرانب، بينما لا يخاف الآخر كانت النتيجة أن الطفل الذي لا يخاف انتقلت إليه العدوى من الطفل الآخر وأصبح يخاف الأرانب.

يبين الطبيب النفسي «نورمان كاميرون» بعض الطرق التي يتعلم الأطفال من خلالها القلق نتيجة للخوف، فهو يرى أن بعض الأسر تعامل أطفالاً بطريقة توحي بأن هؤلاء الأطفال أهل للثقة، ويمكن الاعتماد عليهم لذلك

يتعرض هؤلاء الأطفال قبل وصولهم لسن النضج لصعوبات الراشدين، كالصعوبات المتعلقة بالمشكلات المالية على سبيل المثال. وبسبب افتقارهم إلى النضج الضروري لفهم هذه المشكلات وإلى القدرة والخبرة للتغلب عليها، يغمرهم شعور بعدم الأمن وبالخوف من أعباء الحياة. كما أن الأسرة التي لا تقتنع بأداء طفلها وتطالبه بشكل دائم بالأفضل وتضع له مقاييس تتجاوز قدراته تعرض طفلها لقلق سببه خوف من أن يسبقه الآخرون. ويصبح تقديره لذاته منخفضاً. كذلك الأسرة التي تعامل طفلها بتسامح زائد فإنها تساعد على نشوء الخوف لديه. فلكي يشعر الطفل بالأمن يحتاج إلى تعيين حدود واضحة له، إذ لا يتأكد الطفل دونها من حدود حريته في العمل، ولا يستطيع بالتالي أن يعرف أو يتنبأ بالأشياء التي يتوقعها العالم منه، خارج المنزل، وتزداد بذلك عدم ثقته بنفسه وتكثر شكوكه.

قد يكون سبب خوف طفلك عائد إلى خبرة سابقة مر بها، فعندما يتردد مثلا إلى منزلكم أحد الأصدقاء من الأطباء تجدين طفلك خائفاً منه ولا يريد مقابلته. وقد يكون سبب ذلك خبرة مؤلمة مر بها من قبل فجعله يخاف الأطباء فالخبرة السابقة تكسب بعض المواقف صفات خاصة تدفع الأطفال إلى الشعور بالخوف من تلك المواقف. وقد يكون طفلك في سن المدرسة الابتدائية، ويخاف من أمور عديدة كالمخاطر التي يتعرض لها في الحياة اليومية كاقتراب سيارة مسرعة منه وهو سائر في الطريق. وهو لذلك يقفز على الرصيف تجنباً للخطر، كما أنه يخاف من الظلام والأشباح واللصوص والحيوانات المفترسة.. وكثير من مخاوف الأطفال في هذه السن وهمية، وقد تنشأ هذه المخاوف عن بعض أفلام الرعب التي نشاهد رواجها في هذه الأيام. وكثيراً ما يخيل للطفل أن الشخص الذي كان يفترس الناس «في الفيلم» سيدخل من النافذة ليلاً ويفترسه، ولا شك أن القلق الناتج عن الخوف ينطوي على جانب إيجابي، فهو يدفع الفرد نحو أداء أكثر فعالية، إذا كان ضمن حدود. فإذا تجاوز حداً أقصى، فسيعوق أداء الطفل عوضاً عن تعزيز هذا الأداء، ولاشك أيضاً أن الطفل الذي يعاني من خوف زائد يكون أقل شعبية في المدرسة من زملائه، وتنخفض ثقته بنفسه وتقديره لذاته ويتسم بالتواكل.

## مقترحات لمعالجة مخاوف الأطفال

إذا رأينا طفلاً يخاف من بعض المواقف فلا ننصح أبداً بأن نجنبه تلك المواقف لأننا بذلك نعقد المشكلة. ولأنه يستحيل إبعاده إبعاداً تاماً عن المواقف التي تسبب خوفه. كما أن الحياة نفسها مليئة بالمواقف التي تثير الخوف في الأطفال والكبار لذلك من الأفضل ألا نبعد الطفل عن المواقف التي ارتبطت في ذهنه بإثارة انفعال الخوف، بل إن ما يجب علينا فعله هو أن نعوده على مواجهة تلك المواقف. فيحدث حينئذ شيء من التحكم فيها. وأستطيع أن أوضح ذلك من خلال المثال التالي:

حالة طفلة كانت تخاف الاقتراب من مياه البحر والبحيرات. وبالإمكان مساعدة هذه الطفلة للتخلص من هذا الشعور عن طريق تشجيعها على الاقتراب من الماء، وبث الثقة في نفسها، وتلقينها أنه ما من خطورة إذا أخذت قاربها الصغير وحاولت اللعب به على شط البحر أو حافة البحيرة. كل ذلك دون شك يبعث الثقة في نفس الطفلة، ويوحي إليها بطريقة غير مباشرة أن خوفها من المياه لا يستند إلى أساس.

وإذا كان الطفل يخاف من الظلام، فمن الممكن مرافقته إلى الغرفة وهي مظلمة، وإقناعه بأنه ليس هنالك أي شيء يختبئ في هذه الظلمة. ولنشعل النور ونبحث معه عن أي شيء يعتقد وجوده في الغرفة. ثم نطفئ النور، ونثبت له أنه لا وجود لأي شيء مخيف. ونبرهن له أن الأمر لم يتغير في حالة الظلمة والنور. وبعد المثابرة على ذلك لعدة أيام نجده يتخلص من خوفه تدريجياً.

لنعطي الطفل أمثلة عن أطفال بسنه لا يخافون مما يخاف منه. ونشجعه دائماً ونبث الثقة بنفسه. ونناقشه في موضوع خوفه لكي يتعرف تدريجياً على الموقف المخيف ويعاينه ويقتنع بأنه لا مسوغ له.

ومن الملاحظ أن بعض الأطفال يستطيعون التغلب على مخاوفهم دون مساعدة أحد. وذلك نتيجة لعملية النمو العامة التي يصلون إليها، أو من خلال تحدثهم مع الآخرين عن الأشياء المخيفة، ومناقشتهم لأنفسهم حول واقعية أو لا واقعية مخاوفهم.

إن الأم الواعية .. الذكية .. لا تتجاهل مخاوف طفلها. ولا تكرهه على الاتصال بالموقف المخيف أو الموضوع المخيف بشكل دائم .. ولا تبعد الموقف المخيف عنه. ولنعالج مخاوف الطفل حتى لا تستقر به، ولنتجنبها قبل أن تحدث فلا حكايات مخيفة، ولا عقاب مستمر، ولا إظهار لمخاوفنا أمامه حتى لا تنتقل إليه. وعندما يتعرض لخبرة مخيفة يجب أن نشرح له بهدوء أنه لا سبب للخوف فإزالة الخوف خير من بقائه.

وإذا وجدنا أن خوف الطفل غير طبيعي، وأن نموه لم يخفف من حدة الخوف لديه، وأن خوفه يزداد يوماً بعد يوم، ولم يعد خوفاً عادياً بل أصبح شاذاً ودائماً ومتكرراً ومتضخماً مما يسبب للطفل الانطواء والتشاؤم والخجل والجبن، وضعف الثقة بالنفس، وشعوراً بالنقص والتردد في كل صغيرة وكبيرة، والإغماء أحياناً، وخفقاناً زائداً في القلب، وارتجافاً واضطراباً في الكلام... عندها.. الخوف أصبح خوفاً مرضياً، وعلينا استشارة المتخصص النفسي[1].

---

١. تربية الطفل مشكلات وحلول: د. سلوى مرتضى، ص٥٤ . ٦٠.

## سنة الاكتشاف ١٨٩٨م

ماهذا الاكتشاف؟ أصغر وأبسط كائن حي[١] والعامل المسبب للعديد من الأمراض للإنسان، بدءاً بالزكام وانتهاء بالحمى الصفراء المميتة.

## من المكتشف؟

ديمتري ايفانوفسكي ومارتينوس بيجيرينيك.

## لماذا يعد هذا الاكتشاف ضمن المائة العظمى؟

كونها أصغر بكثير من الخلايا والبكتيريا، تعد الفيروسات أصغر أشكال الحياة على سطح الأرض. من الصغر بحيث يمكنها التكاثر فقط داخل خلية مستضيفة تلك بأخذ زمام السيطرة على تلك الخلية. كما وتعتبر الفيروسات من الصغر بحيث يمكنها النفاذ من خلال أي مرشح كان أو مصيدة كانت. وقد رد اكتشافها على العديد من المسائل الطبية العالقة بمطلع القرن العشرين وأكمل النظرية الجرثومية لباستير.

تسبب الفيروسات العديد من أخطر أمراض الإنسان. ولغاية اكتشافها، كانت العلوم الطبية قد تعطلت في تطورها حيال معالجة هذه الأمراض البشرية. عندما اكتشف بيجيرينيك الفيروسات، كان قد اكتشف نوعاً حياتياً جديداً في واقع الأمر، نوعاً من الصغر بحيث لا يستوعبه أي ميكروسكوب عادي إلا تلك الإلكترونية المقتدرة.

## كيف جاء هذا الاكتشاف؟

اكتشف العالم الفرنسي لويس باستير الجراثيم «البكتيريا المجهرية» داعياً بأنها السبب وراء حالات المرض والتعفن. على أية حال، عجز باستير عن رؤية الكائن الدقيق «الجرثوم» المسبب لداء الكلب، رغم محاولاته على مر أكثر من عقد من الزمان وحتى استسلامه عام ١٨٨٥م. ألقى ذلك بظل من الشك والريبة على نظريته الجرثومية[٢].

مرض آخر لم يعثر له أحد على عامل مسبب كان مرض التبغ ألفسيفسائي «والذي سمي نسبة إلى تكون نمط فسيفسائي على أوراق النباتات الموبوءة». في عام ١٨٩٢م، عهد عالم النبات الروسي ديميتري ايفانوفسكي على نفسه مهمة البحث عن هذا العامل المريب «كان العمل على مرض التبغ الفسيفسائي أكثر سلامة من العمل على داء الكلب القاتل». هرس ايفانوفسكي الأوراق الموبوءة ومرر عصارتها خلال العديد من المرشحات الورقية والسيراميكية. وكان معروفاً لهذه المرشحات أن تصطاد جميع الكائنات. حتى أصغر البكتيريا.

على كل حال، كان السائل المرشح من خلال هذه المجموعة من المرشحات لا يزال قادراً على إصابة نباتات التبغ السليمة بالمرض ألفسيفسائي، ما يدل على أن ايفانوفسكي لم يتخلص من العامل المسبب للمرض. فجرب مواد مرشحة أخرى وطرقاً علاجية مختلفة وعمليات غسيل للأوراق والعصارة المستخلصة منها، ولكن بقيت نتائجه على حالها. مهما يكن ذاك الشيء الذي يسبب المرض، فإنه تخلص من مصائد ايفانوفسكي.

رفض ايفانوفسكي الاعتقاد بوجود أي كائن حي أصغر من البكتريا ولهذا فضل استنتاج بأن العيب في مرشحاته التي لا تستطيع فصل البكتيريا الصغيرة. مشمئزاً من هذه النتيجة، تخلى ايفانوفسكي عن كامل مشروعه.

في العام ١٨٩٨م، قرر عالم النبات الهولندي مارتينوس بيجيرينيك أن

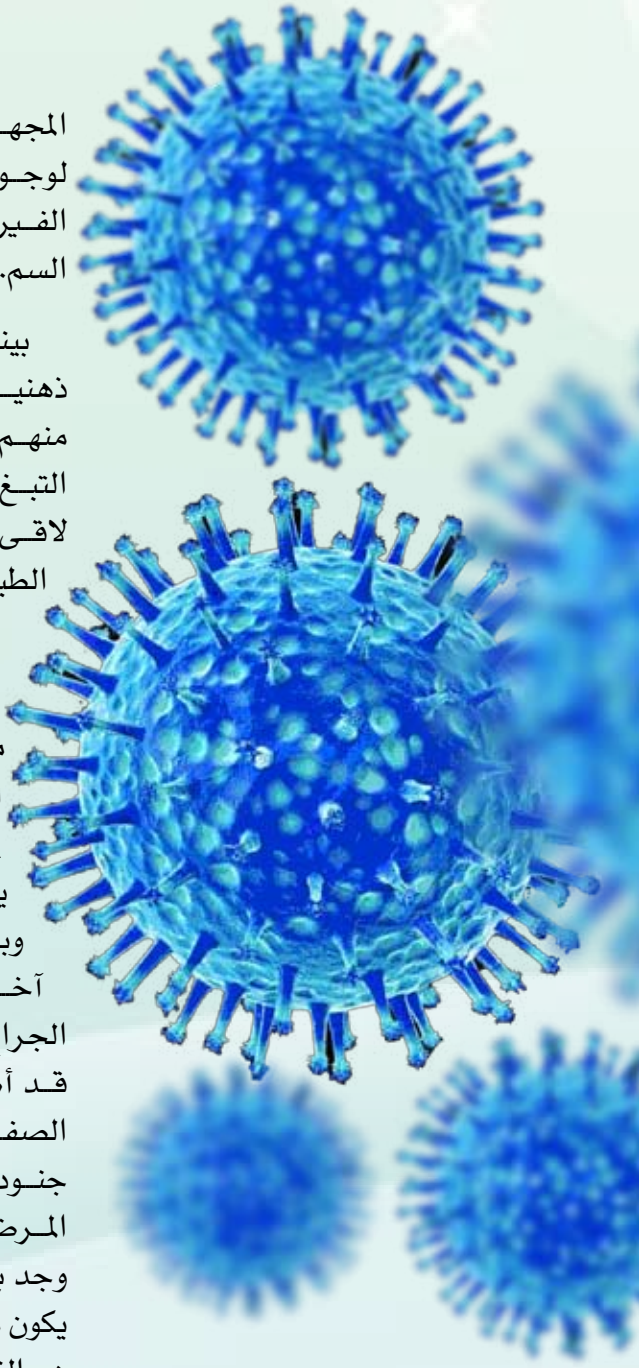

يجـــــــرب

حظـــه فـــي حـــل لغـز مرض التبـغ الفسيفسـائي. فأعـاد تجربـة ايفانوفسـكي وحصـد النتيجـة ذاتها. ولكـن علـى خـلاف سـابقه، كان بيجيرينيـك علـى أتم الاسـتعداد لافـتراض إثبـات هـذه التجربـة بأن العامـل المسـبب هـو جديد مـن نوعه ومجهـول. شـيء أصغـر بكثـير مـن البكتيريـا، مـا يفسـر عـدم فصلـه ترشـيحياً. اعترف بيجيرينيك بأنه لم يعرف شيئاً عن ماهية العامل المسبب المجهـول، ولكنـه دعا بإثبـات تجربته لوجـوده وبأنه صغـير للغاية، وأسماه الفـيروس. وهـي كلمـة لاتينيـة تعني السم.

بينمـا بدا هذا الاكتشـاف ذا متعة ذهنيـة لبعـض العلمـاء، إلا أن القليل منهـم اهتـم بمـرض خـاص بنباتـات التبـغ. فخـبر اكتشـاف الفيروسـات لاقـى القليل مـن الانتباه من الوسـط الطبي والعلمي.

في عـام ١٨٩٩م. أجـرى العالم الألمانـي فريـدرك لوفلير تجربة مماثلة اسـتنتج مـن خلالها بأن العامـل المسـبب لمـرض القـدم إلى الفـم كان من الصغر بحيث يسـتحيل أن يكون مـن البكتيريا وبالتالـي لابـد أن يكـون فيروسـاً آخـر. بعدها بعامـين «١٩٠١م»، كان الجراح العسكري الأمريكي والتر ريد قـد أضناه البحـث عن سـبب للحمى الصفـراء الـتي فتكـت بالعديـد مـن جنـود بلاده. وبعـد تجاربـه على هذا المـرض المنقول عـن طريـق البعوض، وجد بأنه أياً كان السبب فإنه لا بد أن يكون من حجم الفيروس. نعم، السبب هو الفيروس بعينه.

أقنع هذا الاكتشاف الوسط العلمي بأن الفيروسـات ـ ١/ ١٠٠٠ من حجم أصغر البكتيريا ـ كانت السبب للعديد من آفات البشر وبالتالي تجب دراستها ومعالجتها بطريقـة منفصلـة عـن البكتيريا. لقد اكتشـف ايفانوفسـكي وبيجيرينيـك[٣] الفيروسـات، ولكـن يعود الفضل إلى والتر ريد في تحشيد اهتمام ونشاط المجتمع الطبي والعلمي إلى هذا الميدان.

حقائـق طريفـة: ما هـو الفيروس المرضـي الأكثـر شـيوعا؟ مجموعـة الراينوفيروسـات أو «الفيروسـات الأنفيـة»، والـتي تتضمـن ١٨٠نوعـاً علـى الأقل. تسـبب الراينوفيروسـات حالات الـزكام «نزلات الـبرد» وتعتبر عالميـة التواجـد تقريبـاً، فتصيب كل فرد بالعالم عدا أولئك الذين يعيشون في المناطـق المتجمـدة للقـارة القطبية الجنوبية.[٤]

---

١. في الحقيقة، يعارض الكثيرون فكرة كون الفيروسات كائنات حية طالما أنها تفتقد للآلية الأيضيـة الـتي تؤهلهـا للعيـش خـارج الخليـة المضيفـة. ولكـن بنظـر البعـض ممـن يعرفـون للحيـاة علـى أنهـا «القابلية على نقـل المخطط الوراثي إلى الأجيال اللاحقة»، فإن الفيروسات حية بالتأكيد.على كل حال، أنا مقتنع شـخصياً بفكـرة أن الفـيروس يمتطـي تعريـف الحيـاة، احدى قدميه على جانب المعقدات الفوق جزيئية والقدم الآخر علـى جانب التراكيب البيولوجية البسيطة ـ المترجم.

٢. معـروف عـن العـالم الفرنسـي الكبـير لويـس باسـتير «١٨٢٢ ـ ١٨٩٥م» أنـه أول مـن صنـع لقاحاً ضـد داء الكلب، حيـث جربه على ١١ كلبـا قبل تجريبه على طفل عمره ٩سـنوات يدعى جوزيف ميسـتيه فأنقذه من براثن الموت. عمـل هذا الشـخص طوال حياتـه خادما لمعهد باسـتير، وعندما ضغـط عليه الغـزاة النازيون لإرشـادهم إلى نفـق باسـتر «حيـث دفـن» عام ١٩٤٠م، فضـل الانتحـار على الخيانـة بمنقذه وسـيده، فقتل نفسـه وهو في الرابعة والسـتين «مكتفيا بالخمسـة والخمسين سنة التي وهبها له باستير بفضل من ربه».

٣. اكتشـف بيجيرينيك كذلك عملية تثبيت النيتروجـين للنباتـات «تحويـل النتروجين إلى أمونيوم بفعل البكتريا في العقد الجذرية لبعض البقوليات» وظاهـرة اختزال الكبريت للبكتيريا «نـوع مـن التنفـس اللاهوائـي». فهـو لم يعمـل على أمراض الإنسـان قط، وهو ما يفسـر ربما خفوت شـهرته قياسـاً بمعاصريه كوخ وباستير ـ إضافـة إلى شـخصيته الاجتماعيـة المهـزوزة وسـلاطة لسـانه على طلابه، إذ حظي بالقليل من المسـاعدين في مهنتـه ولم يتزوج أبداً إيماناً منـه بتعارض الزواج والعلم وتمسـكاً منه بنمط من الزهد والتقشف في الحياة ـ المترجم.

٤. قصة أعظم ١٠٠ اكتشاف علمي على مر الزمن: كيندال هيفن، ص١٥٨ ـ ١٦٠.

صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة
بحث جديد بعنوان السجود على التربة الحسينية
تأليف السيد عبدالرضا الشهرستاني
وتحقيق حيدر الجد.